

المحاضرة الثانية

المحور الأول: الحريات العامة: التعريف والتحديد

إن الالمام بجميع عناصر موضوع الحريات العامة يتطلب بداية التعرض إلى نبذة تاريخية حول موضوع الحريات العامة، ثم التطرق ثانياً إلى مفهومها.

أولاً: نبذة تاريخية عن تطور الحريات العامة:

كان موضوع الحريات العامة -المعروف حالياً- غير موجود من قبل، حيث ظهر إلى الأفق نتيجة التطور التاريخي للمجتمعات البشرية، من خلال النهضة الفكرية وانعكاساتها على الواقع الاجتماعي والسياسي في شكل أحداث وثورات ساهمت إلى حد بعيد في تجلي الحريات العامة وتطورها، كما أن هذه العوامل وغيرها كانت وستظل تلعب الدور نفسه. سنتطرق إلى فترة العصر القديم، فترة العصور الوسطى وعصر النهضة أما العنصر الثالث فسنخصصه لفترة العصر الحديث.

1/ مرحلة العصر القديم:

لم تكن الحريات العامة المعروفة حالياً موجودة في العصور القديمة، على اعتبار أن القوة هي المبدأ في نيل كل شخص لنصيبه أو أكثر من الحرية في المجتمعات القديمة. فكانت قوة الفرد أو قبيلته وكذا مركزه، حسبه ونسبه هي المبدأ العام، فجميع المعاملات في هذا الإطار لا تخضع إلى مبادئ العدالة، المساواة وكذا حقوق الإنسان. وكانت الفترة القديمة تتميز بانتشار عدة ظواهر لاإنسانية مثل ظاهرة الرق والعبودية وكذا ظاهرة الإستبداد التي كانت تمارسها طبقة الحكام على المحكومين.

2/ مرحلة العصور الوسطى وعصر النهضة:

لقد أدت المثالية الدينية في أوروبا إلى الازدواجية في السلطة، فإلى جانب السلطة السياسية فرضت الكنيسة نفسها، وأصبحت سلطة ثانية ساهمت بقدر ما في تحرير الأفراد من تدخل رجال السياسة في الدين آنذاك، لكن سرعان ما تحول رجال الدين إلى متسلطين واستبداديين وأدى تحالفهم مع رجال الاقطاع إلى نشوب حروب وصراعات دينية. هذا الوضع أدى إلى انتشار التعسف والاضطهاد والظلم، كما ترتب على الوضع ظهور ما يسمى بهجرة المثالية الدينية من طرف رجال الفكر والفلسفة.

إتجه الفلاسفة والمفكرين نحو البحث في مصادر أخرى للدفاع عن حريات الأفراد وحماية حقوقهم، وبذلك أسس هؤلاء عدة نظريات وأهمها نظريات "العقد الاجتماعي" خلال القرن 16 السادس عشر. وقد ساهمت المدرسة الطبيعية في تجلي الحريات والحقوق في المجالين السياسي وكذا الاقتصادي، حيث أكدت هذه المدرسة على وجود حريات وحقوق طبيعية للفرد مصدرها القانون الطبيعي هذا من جهة، ومن جهة أخرى ظهرت حقوق وحريات افتراضية مهمتها خلق التوازن الاقتصادي، مما أدى بهذه المدرسة إلى المطالبة بعدم تدخل

الدولة في المجال الاقتصادي والتسليم بمبدأ "دعه يعمل دعه يمر" الذي هو أساس الدولة الحارسة.

لقد عرفت هذه الأفكار انتشارا واسعا خاصة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وذلك بفضل الحركات الفكرية والفلسفية والثورات الشعبية، مما أدى إلى ميلاد العديد من الاعلانات والمواثيق التي تتعلق بالحقوق والحريات في هذه المناطق من العالم، ففي إنجلترا نجد العهد الأعظم الصادر في 21 جوان 1215 أو ما يسمى بـ Magna carta والذي يتعهد الملك بموجبه الالتزام باحترام بعض الحريات الفردية، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فنجد عدة وثائق، خاصة إعلان استقلال الولايات المتحدة الأمريكية المؤرخ في 4 جويلية 1776 الذي تضمن الحريات والحقوق الأساسية وكذا حقوق الإنسان. وقد توجت الثورة الفرنسية لسنة 1789 ميلاد إعلان حقوق الإنسان والمواطن بتاريخ 26 أوت 1789، والذي أصبح أهم وثيقة في تاريخ فرنسا وفي نظامها القانوني سواء في مجال حقوق الإنسان أو في مجال الحريات والحقوق.

خصائص هذه الوثائق:

اتسمت هذه الوثائق (التي صدرت في إنجلترا، الولايات المتحدة أو فرنسا) في غالبيتها بالمحافظة على مصالح طبقة واحدة وهي الطبقة البرجوازية وكذا بسط نفوذها وسلطتها على حساب الطبقة الفقيرة وذلك بواسطة تكريسها لجملة من المبادئ، على غرار تقديس الملكية الفردية والذي ينص على عدم تدخل الدولة والاكتفاء بدورها السلبي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

3/ مرحلة العصر الحديث:

إن الموقف السلبي الذي تبناه المذهب الفردي فيما يخص دور الدولة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية خاصة فيما يتعلق بالحريات العامة، أدى إلى تبلور وظهور حركات فكرية وفلسفية موازية تطالب بحقوق وحريات جديدة سميت بالحريات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (الماركسية)، بحيث أن الدولة تقوم بفعل إيجابي أي تتدخل بهدف تحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية وتمكين جميع الأفراد في المجتمع من تحقيق حرياتهم وحقوقهم العامة.